

كِتَاب مَدَحِ الْقَلَّةِ وَذَمِّ الْكَثْرَةِ

لِلإِمَامِ الْأَعْظَمِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام

مَنْتَزَعٌ مِنْ مَجْمُوعِ كُتُبِهِ وَرِسَالِهِ

تَقْدِيمُ
سَيِّدِ الْوُضَلَاءِ وَإِمَامِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأَكْرَمِ
مُجِدِّ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْصُورِ الْمُؤَيَّدِيِّ
أَيُّدِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفْعَ بَعْلِهِ

تَجَمُّعٌ وَتَحْقِيقٌ
لِإِبْرَاهِيمَ بَحْبِيِّ الدَّرْسِيِّ الْحَمَزِيِّ

مَنْشُورَاتُ
مَرْكَزِ أَهْلِ الْبَيْتِ^(ع) لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْبَغْدَادِيَّةِ - مَدِينَةُ - بَغْدَادُ (١٤١٦هـ)، مَرْتَبُ (٦٤-٦١)

كتاب مدح القلة وذم الكثرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[سند الكتاب]

قال الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الإثنية: ..
أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن حاجب قراءة عليه، قال : حدثنا محمد بن الحسين الأشثاني، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد الراشدي، وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن علي بن عمر الكوفي، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن العباس بن الوليد المقامي، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق بن راشد، قال : حدثنا العباس بن الفضل الوراق، قال: حدثني عمرو بن عبد الغفار الفقيمي البصري، قال : حدثنا عطاء بن مسلم الخفاف، عن خالد بن صفوان بن الأهم التميمي.

[لقه خالد بن صفوان بالإمام زيد في الرصافة]

قال خالد بن صفوان: قدم علينا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الرصافة رصافة هشام^(١) فبلغني فصاحته، وكثرة علمه، وبيان حجته، فدخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مقلوة يقضم منها، فسلمت عليه.

فحمدت الله تعالى وأثنت عليه، وذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أكرمه الله تعالى به، وذكرت حيث توفاه الله تعالى فباع الناس أبا بكر،

(١) - الرصافة: بضم أوله مشهور، إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف الساء فلا أدري ما اشتقاقه. ورصافة هشام موضع في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طريق البرية، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف. هكذا في معجم البلدان.

فذكرت عدله، وسوته، ثم ذكرت عمر بمثل ذلك، ثم عثمان بمثل ذلك، وذكرت فضله واختيار الناس وتفضيلهم إياه على سائر الناس، ورأوا أنه ليس أحد أحق بالخلافة منه.

وزيد بن علي عليهما الصلاة والسلام يتيسم إلي، وهو يقضم حبة بعد حبة. ثم قلت: فوثب عليه قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار فقتلوه، فلن يزالوا في فتنة إلى يوم الناس هذا.

فاستوى الإمام أبو الحسين زيد بن علي — صلوات الله عليه — فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر ما اختصه الله تعالى به من الكرامة، واختيار الله إياه فبلغ رسالته، فلما قبضه الله تعالى إليه انطلق المسلمون إلى رجل صالح فبايعوه، ثم بايعوا بعده رجلاً، ثم انطلقوا بعده إلى رجل ظنوا به الخير، وظنوا أنه سيجري مجرى صاحبيه، فمكثوا زماناً ثم نعموا عليه شيئاً بعد شيء، حتى إذا آوى أقاربه السفهاء والطفقاء، وأقصى المهاجرين الأولين والأنصار، وأذاهم وأخرجتهم من ديارهم، فاستعبوه مرة بعد مرة، فأبى إلا اختيار أهل بيته والأثرة لهم، وكان المسلمون عليه بين قاتل، ومعضض خاذل.

فلما قتل انطلق ولادة هذا الدين من المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم من التابعين لهم بإحسان إلى (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام) حتى أخرجوه من بيته فبايعوه غير مكرهين، ثم أنهم نكثوا بيعته — يعني طلحة والزبير — من غير حدث، فلو أن الذين نكثوا بيعته نكثوا على أبي بكر وعمر لاستحل أبو بكر وعمر قتالهم.

[إعداد علماء الشام لمناظرة الإمام زيد]

قال خالد بن صفوان: فخرجت فلقيت جماعة من أهل الشام فحكيت لهم قول

الإمام أبي الحسين زيد بن علي — عليهما السلام — فحاشت كلومهم^(١)، وجاؤا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبُصْر بالحجج، فجمعوا بينه وبين الإمام زيد بن علي — عليه السلام.

قال خالد بن صفوان: وكنت قد لقيت زيد بن علي — عليهما السلام — قبل ذلك فقلت له: أصلحك الله أحب أن تكلم لي الشاميين.

[كلام الشامي في مدح الكثرة وذم القلة]

قال: فتكلم الشامي؛ فذكر رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وذكر أنهم ولاية هذا الدين، وأن الجماعة كانت معهم، وأن أهل الجماعة هم حجة الله على خلقه، وأن أهل القلة هم أهل البدع والضلالة، وأنه لم تكن جماعة إلا كانوا هم أهل الحق، حتى قتل عثمان فخرج علي بن أبي طالب باغياً مفرقاً للجماعة، حتى هاجت الفتنة فاقتتلوا حتى رُدَّ هذا الأمر إلى أهل بيت هذا الخليفة المظلوم عثمان — يعني بني أمية.

[جواب الإمام زيد على الشامي]

قال: فحمد الله تعالى زيد بن علي — عليه الصلاة والسلام — وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم تكلم بكلام ما سمعنا قرشياً ولا عربياً، أبلغ في موعظة، ولا أوضح حجة، ولا أفصح لهجة منه.

ثم قال: ذكرت الجماعة وزعمت أنه لم تكن جماعة قط إلا كانوا هم أهل الحق، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

(١) — الخاشي: رَوَاع القلب إذا اضطرب عند الفزع، وحاشت نفسه: ارتفعت من حزن أو فزع. تمت فاموس، والكلوم: جمع كلم، بالسكون وهو الجرح، تمت فاموس.

[ص: ٢٤] وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنْ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ اتَّبَعَتْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا بِهِ
وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] وقال تعالى:
﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَخَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى في ذم الكثرة والجماعة: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
[يوسف: ١٠٣] وقال في الجماعة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ
هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] وقال: ﴿وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

[كتاب مدح القلة وذم الكثرة]

قال ثم أخرج إلينا كتاباً قاله في الجماعة والقلة، فيه:

أما بعد:

فإن أناساً من هذه الأمة يتكلمون في الجماعة ويزعمون أنهم أهل الكثرة، وأنهم
حجة الله على أهل القلة من الناس، وأن القليلين من هذه الأمة هم أهل البدع
والضلالة، وإننا سمعنا الله تبارك وتعالى وتقدس أسماؤه وعلا نوره وظهرت
حجته، قال — فيما نزل من وحيه الناطق الصادق على محمد عبده ورسوله صلى
الله عليه وآله وسلم، يخبر عن الأمم الماضية مثل: أمة نوح وهود وصالح وشعيب

وإبراهيم وموسى ودّاد وسليمان وعيسى وعمد عليهم السلام، وهم أولوا العزم من الرسل، وغير أهل الكُتْب — إن أهل الحق والجماعة وأتباع الرسل أهل القلة، وإن أهل البدع والضلالة هم الأكثرون، وإنّا سمعنا الله حل اسمه يثني على أهل القلة ويمدحهم، فكانوا على عهد أصحابهم وبعد أنبيئهم، ويذم أهل الكثرة ويجهلهم ويُسفّههم ويكذبهم ويضلّهم، وينهى عباده الصالحين عن اتباعهم، والإقتداء بهم، والأخذ بمنارهم.

[السور التي ذكر فيها مدح القلة]

فقال تعالى في السورة التي نذكر فيها البقرة

بذكر أهل القلة فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣). وقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

وقال الله عز وجل عن قول إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨). وكم ذرية إبراهيم؟ وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [والله عليهم بالظالمين] (٢٤٦).^(١)

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا اللَّهَ كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

(١) — وقال تعالى بعد الآية السابقة في قصة طالوت: ﴿فَخَرَّبَوا مِنهٗ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ — ٢٤٩﴾.

غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يِاذَنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ مَعَ الصّٰبِرِينَ (٢٤٩) ﴿﴾ يعنى ان اهل القلة اهل الحق.

ومن سورة آل عمران

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾، وروي أنهم كانوا اثني عشر رجلاً من جماعة بني إسرائيل.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ ولم يقل لبني إسرائيل ولا لغيرهم من اهل الكتاب: ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾، فأخبر أنهم أمة من جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال تبارك اسمه — في بني إسرائيل، لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يخبره: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصّٰلِحِينَ (١١٤)﴾.

ومن سورة النمل

قال الله تعالى في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم — المهاجرين خاصة: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْثًا (٦٦)﴾، فأخبر الله تعالى أن اهل القلة هم أشد سبيلاً، وأعظم أجراً، وأشد في الإسلام تنبيهاً.

وقال الله جل اسمه: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾. وقال الله تعالى في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَاتَبْعُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) ﴿١﴾.

ومن سورة المائدة

قال الله تبارك وتعالى — في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأهل النفاق منهم: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾.

وقال الله عز وجل لبني اسرائيل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ لِأَنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾ وهما فيما بلغنا: يوشع بن نون، وكالب بن نوفيا، رهط أربعين ألف رجل من أمة موسى عليه السلام.

ومن سورة الأعراف

قال الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾.

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)﴾، ولم يقل أمة موسى، وهم مؤمنون بموسى عليه السلام والتوارة.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠)﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾، ولم يقل لكل من خلق.

ومن سورة الأنفال

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ ولم يقل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم: كلهم يغلبوا مائتين

(١) — وقال تعالى بعد هذه الآية: ﴿يَهْلِ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا — ١٤٢﴾.

﴿وَأِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَافًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥).

ومن سورة يونس - عليه السلام -

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتَهُهُمْ﴾ (٨٣)، ولم يقل: لكل ذرية بني إسرائيل.

ومن سورة هود

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤٠). فكانوا فيما بلغنا والله أعلم: مائتين شاباً من الأمم بعد آدم عليه السلام، فدعاهم إلى الله تسع مائة وخمسين سنة، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (١١٦)، وهم الذين نجوا مع أنبيائهم عليهم السلام، وبعد أنبيائهم عليهم السلام، وهم الذين نهوا عن الفساد في الأرض، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا بِهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦).

ومن سورة النحل

قال الله تعالى حل اسمه: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ (٢٠)، وإنما عني به إبراهيم صلى الله عليه وجعله أمة.
وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

ومن سورة بني إسرائيل

يحكي قول إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَغْرَتِي إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لَا حَاجَتَكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢)»، فالتقليلون هم: الذين استغنوا عن الله سبحانه وتعالى من ولاية إبليس.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾.

فافهموا عباد الله عن الله تعالى ما أخبركم به في كتابه، أن القليل من الأمة هي فئة الله الغالبون، التي يظف الله بهم الكثرة، وأنهم أنصار الله، وأنهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون، وأنهم أولياء لله وأنهم أهل الذكر، وأهل الشكر، وأنهم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم أهل البقية في دار إظهار الكفر، وأنهم أهل البقية الذين اتخذ الله تعالى من الأمم، وأنهم أهل العلم وزيادة الهدى، وأنهم الشهداء على الأمم، وأنهم أهل الأساس على عدوهم، وأنهم الذين صلحوا ما عاهدوا الله عليه، وأنهم لم يبدلوا ولم يغيروا بعد أنبيائهم، وأنهم الشاكرون من خلقه، وأنهم أهل الفقه والتهجد، والمستغفرين بالأسحار، وأنهم الأمة الوسطة من الأمم، فأنزلوهم^(١) منزلتهم، ولا تقولوا على الله ما لا تعلمون.

[الصور التي فيها ذم الكثرة]

وقال في أهل الكثرة يلجمهم ويسيء التناء عليهم وينهى الصالحين عن اتباعهم

الحال في سورة البقرة

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (١٠٩)، وهم أهل التوراة — أمة موسى عليه السلام، يقولون بأفـ

(١) - ن نسخة: فأنزلوهم.

والتوراة، غير أنهم كتموا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكفرهم الله بذلك.
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ﴾ (٢٤٣) ولم يقل لأقلهم.
وقال تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَأَ
يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٠).

ومن سورة آل عمران

قال الله جل اسمه: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠). وإنما فسقهم الله لأنهم أقرؤا بما في كتابهم، ولم
يقوموا به.

ومن سورة النحل

﴿لَا خَيْرَ لِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ﴾ (١١٤)، ولم يقل: لأقلهم^(١).
قال الله عز وجل في قوم موسى — عليه السلام —: ﴿وَيَصَدِّقُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَثِيرًا﴾ (١٦٠) وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل^(١٦١).

ومن سورة المائدة

قال الله جل اسمه يحكي قول بني إسرائيل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ لِقَاتِنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤).
وإنهم كانوا فيما بلغنا والله أعلم: أربعين ألفاً.

(١) — كذا في جميع النسخ، ولعله يعني: ولم يقل لا خير في أقلهم.

[وقال تعالى^(١)]: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مِثْلَ مَا إِنْ أَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْتُمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٥٩).

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الذِّينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قُلَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨٠)، ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨١).

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٦٢).

وقال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٦٤).
وقال الله تعالى لأهل الكتابين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (٦٦).

قال أمير المؤمنين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: في هذا الآية ما يشتمل أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ضلالتهم والكتاب فمنزول كله، فمن لم يتبع كتابه فهو ممن وصفه الله تعالى بسوء عمله، وفساد أمره، والله لا يحب المفسدين.
وقال الله تعالى وتبارك في أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأهل

(١) — ما بين القوسين زيادة.

الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا قُلَّا تَأْسَى عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٨).

وقال تبارك اسمه: ﴿وَحَسْبُوا أَلَّا تَكُونَ لِقِئَةً لَعُمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ (٧١).

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣).

ومن سورة النحل

قال الله عز وجل يُعَجِّبُ عَمْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ كِفَارِ قُرَيْشٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (١١١).

وقال عز وجل ينهى عمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن طاعة كثير من في الأرض، فقال عز من قائل كريم: ﴿وَإِنْ تَطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ]﴾ (١١٩).

فقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن كثيراً من الناس أهل هوى وضلالة وجهالة. قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلُوبُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ (١٣٧)، وهذه أيضاً كآلية

التي قبلها.

ومن سورة الأعراف

قال الله تعالى يحكي قول إبليس الرجيم: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني: الدنيا. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني: حسنتهم. ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني: سيئاتهم. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧).

وقال تعالى يخبر عمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمم الخالية: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (١٠٢)، ولم يقل ذلك لأقلهم، لأنه قد علم تبارك وتعالى أنما اتبع الأنبياء عليهم السلام من كل أمة أقلها وأضعفها وأوضعها في حال الدنيا.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (١٧٩).

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين سُئِلَ عن قيام الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧)، يعني: قيام الساعة، قد أعلم الله تعالى الساعة القليل من خلقه وهم أهل صفوته، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «(إن من أشرار الساعة: مطراً ولا نبات، وتبايع الناس بالعينه^(١))، وكثرة أولاد الزنى وترك العمل بكتاب الله تعالى، وتجارة النساء، وتجارة الراعي في أمته» مع شرائط كثيرة.

وقال الله تعالى تصديقاً لذلك: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

(١) - العينة - بكر العين: هي أن يبيع الرجل سلعة بشئ معلوم لل أهل معلوم، ثم يشرها -
المتع - من - - المشتري - بأقل مما باعها به أولاً.

ومن سورة الأنفال

قوله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المهاجرين والأنصار: ﴿وَإِنْ لَرِيفًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)﴾، ولم يخاطب الله تعالى بهذا المؤمنين الذين استكملوا الإيمان لأنهم لا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحق، ولكنهم مضوا على ما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ (٣٤)﴾ وهم الأتقون وأولياء الشيطان هم: الأكثرون.

ومن سورة التوبة

قال الله عز وجل: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَلْوَاهِهِمْ وَتَأبَى قُلُوبُهُمْ وَكَثَرُهُمْ فَأَسْفَحُونَ (٨)﴾. وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا (٢٥)﴾، فأخبر الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن الكثرة لا تغني شيئاً، وأن أهل القلة في كل أمر ممدوحون. وقال الله تعالى: ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِتَسَمُ مَدْيَنَ (٢٥)﴾.

قال أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي — عليه السلام: وكانوا فيما بلغنا والله أعلم اثني عشر ألف رجل، ثم قال: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٢٦)﴾، وهم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين وكانوا سبعة نفر من بني هاشم وبعضهم من الأنصار، منهم: العباس بن عبد المطلب أخذ لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو سفيان بن الحارث

بن عبد المطلب ممسك بنفره^(١)، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه، والفضل بن العباس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ﴿وَلَسْتُ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] يعني الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (٣٤)، والأحبار والرهبان هم: علماء التوراة وقادة أهل الكعب، وهم جماعتهم عند أنفسهم.

ومن سورة يونس

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢).

[ومن سورة هود^(٢)]

وقال تعالى محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَلَا تَكُ لِي مِثْرَةً مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧).

ومن سورة يوسف - عليه السلام -

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)، وفيما حكى من قول يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ

(١) - ثمر الدابة: الحرفلة التي توضع تحت ذنبها. تمت قاموس.

(٢) - ما بين الفوسين غير موجود في الأصل.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) ﴿

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَقِيمُوا وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ فاحسر جل وعلا

بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل القلة هم المؤمنون.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)﴾.

فاحسر أن أهل الكثرة لا يؤمنون ولا يفلحون، وأنهم أهل الشرك والفساد في الأرض إلى يومنا هذا وصدق الله ورسوله — صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة الرعد

﴿المر بِلِكِّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)﴾.

ومن سورة إبراهيم (هـ)، وعلى نبيننا وعلى آله وسلم

قال تعالى [حاكياً عن إبراهيم]: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ﴾ (١) (٣٦).

وقال تعالى [حاكياً عن قول إبراهيم]: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾، ولم يقل: أفئدة الناس كلهم.

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

وقال تعالى [حاكياً قول إبراهيم أيضاً]: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ

(١) — هذه الآية بعد الآية التي تليها في الأصل، وقدمت لأجل ترتيب الآيات.

لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴿﴾، وإنما سأل للخاص من ذريته فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخاص، وهم دعوة إبراهيم، وقد علم إبراهيم أن كثيراً من ذريته يضلون كثيراً من الناس فلذلك قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَلَيْسَ مِنِّي﴾ غُفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) ﴿﴾.

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: يعني من كان على منهاجي فإنه مني ومن عصاني فإني غفور رحيم.

وفي هذا يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فمن تولى عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كفر بما أنزل الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سورة أصحاب الحجر

قال الله تعالى يحكي قول إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾، فعباد الله المخلصين هم: القلة من الأمم أجمعين، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾، فمن أطاع إبليس لعنة الله تعالى عليه فقد اتبعه. والغاؤون فهم: أهل جهنم.

ومن سورة النحل

﴿وَأَلْسُمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَمَعَتْ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقَانَا فَهُوَ مُنْفِقٌ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾، وأخير أن من كفر نعمة عنده من الله عز وجل فقد كفر، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنِّكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. (يعني: المائدة).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

قال أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين: يعني كفر النعمة.

وقال الله عز وجل في ذلك: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ ثم أخبر عن منزلة كفار النعم، فقال: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ [إبراهيم] فهذا جميع فيمن كفر نعمة الله تعالى ولم يتب.

وقال الله تعالى يحكي قول كفار قريش: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

ومن سورة بني إسرائيل

﴿وَلَقَدْ صَرَقْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨٩﴾.

ومن سورة الكهف

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ

هُدًى (١٣) ﴿.

قال الإمام الشهيد أبو الحسين زيد بن علي — صلوات الله تعالى عليه وسلامه: بلغنا والله أعلم أنهم كانوا سبعة نفر من عدة أمة من الأمم، وهم أصحاب الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٢٢): فأخبرنا أن لا يعلم عدتهم إلا قليل.

ومن سورة الأنبياء

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٤) ﴿.

ومن سورة المؤمنين

﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٠) ﴿، يعني: محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاء قومه بالحق، فأخبر الله تعالى أن كثيراً من الأمة ولم يقل للخاص من الأمة.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿.

ومن سورة الفرقان

يعجب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن بعثه إليهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤) ﴿.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِدُنْكَرُوا فَأَنبَأَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥٠) ﴿.

ومن سورة الشعراء

قال الله تعالى لكفار قريش: ﴿وَأَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ اتَّبَعَتْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) ﴿.

وقال الله تعالى يحكي عن قول فرعون لعنة الله عليه: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (٥٤) ﴿ يعني: بني إسرائيل الذي قطعوا البحر مع موسى عليه السلام.

وقال الله تعالى لقوم فرعون: ﴿لَمْ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) ﴿.

وقال الله تعالى في قوم نوح: ﴿لَمْ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) ﴿.

وقال الله تعالى في قوم هود: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) ﴿.

وقال الله في قوم صالح: ﴿فَسَقَرُوهُمَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (١٥٧) فَأَخْلَعْنَاهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) ﴿.

وقال الله في قوم لوط: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) ﴿.

وقال الله في قوم شعيب: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) ﴿.

وقال الله فيمن أقر بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتبع منهاجه: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢١٦) ﴿.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَتَزَلَّى الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) تَتَزَلَّى عَلَىٰ كُلِّ مَفْجٍ أَلَيْسَ لَكُمْ بِأَلِيمٍ﴾ (٢٢٢) يُثْقَلُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٢٢٣) ﴿، فقد عرفنا عز وجل أن

كثراً من الأمم أُمم الأنبياء المالكون وأن الأقل المهتدون، ألا فاعقلوا أيها الأمة عن الله الذي أخرجكم على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تخالفوا عما أمركم به ففضلوا كما ضلت الأمم بتركهم ما أمروا به.

ومن سورة النمل

قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا لَهُمْ لَعْنًا﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢)، فأعبر تعالى أن أهل الذكر هم القليل.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُسُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَثْرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٦)، وقد نهى عن الاختلاف فيما أنزل على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمرنا لنسلم لأمر الله تعالى. وأنتم تزعمون وترون خلاف كتاب الله تعالى، تزعمون الخلاف رحمة، وقد وعد الله عليه العذاب.

ومن سورة القصص

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣).

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٢٠).

(١) - بشهر الإمام زيد عليه السلام إلى تضيف الحديث الذي روي عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو حديث مكذوب باطل لا أصل له؛ لأنه معارض للقرآن وما عارض القرآن فهو مردود.

قال مولانا أمير المؤمنين أبو الحسين زيد بن علي عليهم السلام: هو فيما بلغنا والله أعلم رجل يقال له: (حزقيل بن صابوت) مؤمن آل فرعون.
وقال تعالى: ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ (٥٨)، فأخبر الله تعالى أنه لم يهلك القليل.
وقال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (٧٥)، ولم يقل: للأمة كلها.

ومن سورة العنكبوت

يحكي قول إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما الكرام وسلم: ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (٢٤).
وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا لَهُ لُوطٌ﴾ (٢٦) يعني لإبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى آلهما وسلم من عدة أمة من الأمم.
﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٣).

ومن سورة الروم

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ لَا يُخْلَفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦).
وقال: ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (٨).
وقال: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠).

ومن سورة لقمان رحمة الله عليه

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) ﴿﴾.

ومن سورة السجدة

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾.

ومن سورة الأعراب

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّظِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)﴾.

قال زيد بن علي: نزلت هذه الآية في أمة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، منافقي يوم الأحزاب.

وقال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ آيَاتِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)﴾: يعني المنافقين.

وقال الله تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)﴾، ولم يقل ذلك للمؤمنين كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكِمْ إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا لَكُمْ إِنَّمَا أُعْطِيَكَمْ وَأَسْرَحَكُمْ سَرَّاحًا جَمِيلًا (٢٨)﴾ وَإِنْ كُنتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾، فلم يقل سبحانه فإن الله أعد لأزواجه كلهن، بل خاطبهن كلهن حتى فرغ من مخاطبتهن، ثم خص المحسنات بالأجر العظيم، ولم يعمهن.

ومن سورة سبا

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾ (١٣)، ولم يقل: عبادي شاكرون كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنْ آلِهِمِ﴾ (٢٠) فاستثنى بعضهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨).

[وقال تعالى:] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَتَىٰ وَلَيْنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ (٤١).

ومن سورة يس

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧)، وقال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنَ الْقَصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (٢٠).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم أنه رجل واحد وهو: (حبيب النجار) مؤمن آل ياسين.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ﴾ (٦٢).

ومن سورة الصفات

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١).

ومن سورة ص

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (٢٤).

ومن سورة الزمر

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩).

ومن سورة المؤمن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (٢٨).

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: هو (حزقيل) مؤمن آل فرعون.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٨) إِنِ السَّاعَةُ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ لَهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١).

ومن سورة هم السجدة

﴿قُلْ إِنَّا عَرَبٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) بِشِيرًا وَلَدِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ لَهُمْ لَآ

يَسْمَعُونَ (٤) ﴿

ومن سورة الدخان

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾

ومن سورة الجاثية

قال: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾

ومن سورة الأحقاف

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا (١٠)﴾

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: بلغنا والله أعلم، أنه (عبد الله بن سلام)، رجل واحد من جميع اليهود.

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)﴾

قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليهما السلام: بلغنا والله أعلم، أنهم سبعة نفر من الجن، وهم من أهل اليمن نصيبين^(١)، آمنوا ليلة إذ مروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو تحت نخلة يقرأ القرآن فآمنوا به، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يشعر بهم وكانوا يمشون على رؤسهم وهم مسلمون مؤمنين وبالتوراة من جماعة الجن.

(١) — نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. معجم البلدان

ومن سورة الفتح

قال الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَازِمَ لِنَأْخُذُهَا ذُرُوءًا
تَتَّبِعَكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾.

ومن سورة الحجرات

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)﴾.
وقال: ﴿أَنْ فَيَكُمُ رَسُولُ اللَّهِ تُؤِطِعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْرِ لَعْنَتُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
حَبِيبُ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ لِي قُلُوبَكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾.

ومن سورة الذاريات

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾.
وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾ وذلك في أربع قرى لقوم لوط صلى الله عليه
وسلم، وهم أهل بيت لوط خاصة، فكان من نجاة من هولاء لوطاً عليه السلام وابنتاه
عورا ومؤمناً.

ومن سورة الطور

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧)﴾.

ومن سورة التثبيت السابعة

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِاللَّيْلِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥)﴾.
والذين يجاهم بسحر ثلاثة نفر: لوط وابنتاه عليهم السلام.

ومن سورة الواقعة

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) لِيْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾.
قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما السلام: هو رجل واحد نزلت فيه هذه الآية، وهو أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وهو أول من سبق إلى الإسلام^(١).
وقال الله سبحانه: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)﴾.

ومن سورة الحديد

قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾.
وقال تعالى: ﴿لَمَّا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتُهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)﴾.

ومن سورة الصف

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصَارَ اللَّهُ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مِنْ أَصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي

(١) — تقدم ترجمته في كتاب تثبيت الوصية.

إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافَّةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُنُوبِهِمْ فَأَصْبَحُوا
ظَاهِرِينَ (١٤) ﴿

وقال زيد بن علي — عليه الصلاة والسلام: وهم — فيما زعموا والله أعلم —
ثلاثة عشر رجلا من جميع بني إسرائيل.

قال الله تعالى: ﴿لَقَامَتْ طَافَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَافَّةٌ﴾ (١٤).

ومن سورة الملك

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَيْلًا مَّا
تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿

ومن سورة (ن)

﴿لَا تَطْلُقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ (٢٣) ﴿

وقال الإمام الأعظم أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: بلغنا
والله أعلم: أنهم كانوا ثلاثة أخوة بأرض اليمن، فلما رأوها — يعني جنتهم التي
احترقت — ﴿قَالُوا إِنَّا لَهَآلُونَ﴾ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ —
يعني أعلمهم قولاً — أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿

وقال الإمام أبو الحسين زيد بن علي — عليهما الصلاة والسلام: يعني هلا
استثيم؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿ فكان تسيحهم استثناءهم.

ومن سورة الحاقة

قال الله عز وجل حمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ﴾ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا
تُذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿

فمن زعم أن هذه الآيات غير ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مما اقتضى الله عليه، فقد افترى على الله كذباً، والله ورسوله والمؤمنون منه براء.

اللهم إنا نعوذ بك أن نغترى على الله الكذب، أو القول خلاف ما أنزلت من وحيك على نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو نزعم أن الإسلام قول بغير عمل، أو نزعم أن من عصاك فهو ولي لك، أو نزعم أن الله لا ينجز وعده فيما وعد به عباده، ومن ثوابه وعقابه، أو نزعم أن الله سبحانه لم يكمل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دينه، أو نزعم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال خلاف ما أنزل الله إليه من حلال أو حرام.

قال خالد بن صفوان: مع أن كثيراً من كتاب الله قد ذكر، ما حفظت منه إلا هذا، فلم يذكر كثيراً إلا ذمه، ولم يذكر قليلاً إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم الجماعة، والكثير في معصيته هم أهل البدعة.

قال خالد بن صفوان: فبئس الشامي فما أحلى ولا أمر، وسكت الشاميون فلم يجيبوا لا بقليل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده، فلما خرجوا قالوا لصاحبهم: فعل الله بك وفعل، غررنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها فخرست فلم تنطق! قال: ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجتي بكتاب الله؟ فلم أستطع أن أكذب كتاب الله.

قال [عطاء بن أبي سلمة^(١)]: فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج والخير على زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم الصلاة والسلام ورحمة الله والإكرام.

(١) — ما بين القوسين زيادة.

انتهى بعون الله تعالى، ونسأله أن يصلي على رسوله محمد وعلى آله وسلم

[ثم بحمد الله تعالى كتاب مدح القلة وذم الكثرة]



مقتل عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

[عوار الإمام زيد مع خالد بن صفوان حول مقتل عثمان]

عن العباس بن بكار^(١)، قال: حدثنا شبيب بن شيبة^(٢)، قال: سمعت خالد بن صفوان بن الأهمم المنقري، يقول: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك — وهو يومئذ بالرصافة وكان الناس يُخبرون عن براعته، وكثرة علمه، وبيان حجه، وفصاحة لسانه، وشدة قلبه — دخلت عليه في منزله فسلمت عليه، وجلست وهو متكىء، فذكرت له أمر أبي بكر وعمر، ثم ذكرت له قتل عثمان، وأنه قتله قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فلما سمع كلامي استوى قاعداً فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر.

(١) — العباس بن بكار الضبي البصري، يروي عن عيسى بن يزيد، وعبد الله بن سليمان، وشبيب بن شيبة، وخالد بن أبي بكر الهذلي، وعبد الله بن اللثمي، وحامد بن سلمة، وخالد بن عمر الأزدي. وروى عنه: محمد بن زكريا العمالي، وحسن بن علي بن زكريا. عرف بتشيعه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يُغرب، حديثه عن الثقات لا بأس به. توفي بالبصرة سنة (٢٢٢هـ) وله من العمر (٩٣ سنة)، خرج له للمرشد بالله، والجرحاني.

(٢) — شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم أبو معمر البصري الخطيب ابن عم خالد بن صفوان، روى عن أبيه، وعن خالد بن صفوان، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سمرين. وروى عنه: العباس بن بكار، والأصمعي، وجبارة بن المفلس، وعيسى بن يونس، ووكيع بن الجراح وجماعة. كان بليغاً فصيحاً، قيل له لخطيب لفصاحته، وكان ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، توفي في حدود السبعين ومائة، روى عنه محمد بن منصور.